

لجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

السداسي السادس 2020

السنة الثالثة تاريخ عام

مادة ما قبل التاريخ

العصور الحجرية

مقدمة : وجد الإنسان مجردا من كل الوسائل التي تسمح له بالمقاومة و الدفاع عن نفسه مقارنة بالحيوان ، و لكن الله كرمه بالعقل ، هذا الجهاز المعقد في شكله و في مراكزه ، سمح للبشرية أن تتفوق عن كل المخلوقات و بالتالي عوّض الإنسان النقص الملحوظ فيه كالأنياب القوية و المخالب و القوة العضلية .. فكانت الأداة المصنوعة هي أول إنتاج حضاري أنجزه الإنسان باستعمال المواد الموجودة في الطبيعة كالحجارة ، الخشب ، العظام ، قرون الحيوانات .. لكن المادة التي استطاعت مقاومة التلف عبر العصور الغابرة فيما قبل التاريخ هي الحجارة بمختلف أنواعها : الصخور النارية الصخور الرملية ، الصوان .. فقد كان الإنسان يتنقل أكثر من 150 كلم بحثا عن هذه المواد. فمن خلال دراسة المخلفات المادية التي تركها إنسان ما قبل التاريخ و خاصة تطورها كصناعة استعملها في شتى نشاطاته اليومية التي توحى بدون شك إلى التطور التدريجي في سلوكاته الفكرية و الاقتصادية ، إذ استطاع العلماء تحديد عدة مراحل حضارية ميزت عصور ما قبل التاريخ ، فقسمت إلى عصور قديمة و عصور حديثة ، فعرف إنسان ما قبل التاريخ هاتين المرحلتين، الأولى كان يعيش فيها على الصيد و القطف و الثانية عرف فيها الزراعة و استئناس الحيوانات مما أدى به إلى الاستقرار في قرى بدائية تطورت خلال فجر التاريخ (الألف الرابع قبل الميلاد) إلى

مجمعات سكانية ، و التي مهدت لظهور المجتمعات القديمة التي سكنت قرى أكثر تنظيماً مثل مدينة أريحا بفلسطين (60.000 سنة ق م) ، ثم تطورت إلى مدائن عرفت بالعصور التاريخية القديمة .

مراحل العصور الحجرية

أ) العصر الحجري القديم (الباليوليتي)

و يعني الفترة القديمة للصناعات الحجرية ، و تمتد من 2.3 مليون سنة إلى حوالي 12.000 سنة ، و تقابل كل من فترتي البلاستوسان الأسفل و الأوسط بالنسبة للتقسيم الجيولوجي ، و من منظور التزمين الجليدي يساير جليديات : بيبير و دوناو و قونز و مندل و ريس و فورم ، أما بالنسبة لبلاد المغرب فيمتد الباليوليتي من المرحلة المناخية للعرقوبي إلى مرحلة السلطاني ، و ينقسم الباليوليتي إلى فترات متوالية هي :

1 / الباليوليتي الأسفل

يدعى كذلك العصر الحجري القديم الأسفل ، و يعتبر أقدم فترات الصناعات الحجرية ، و ينقسم إلى فترتين صغيرتين هما: الباليوليتي القديم جدا و القديم .

- الباليوليتي القديم جدا : و تمتد فترة هاته الحضارة من 2.3 مليون سنة إلى حوالي 1.4 مليون سنة و تضم حضارتان متميزتان من حيث المحتوى الصناعي ، الأولى تسمى الشونغورية (اثيوبيا) ، و الثانية الحضارة الألدوانية (تنزانيا)

- الباليوليتي القديم : و تمتد هاته الفترة الحضارية من حوالي 1.3 مليون سنة إلى غاية 0.1 مليون سنة ، و خلالها تطورت الصناعة الحصوية إلى صناعة أشولية ، سواء أكانت تحتوي الفؤوس اليدوية ، أم لآلات

الفؤوس بأنماطها المختلفة لا تظهر في جميع المواقع في زمن واحد ، و شهدت كذلك هذه المرحلة تطور الحضارة الأشولية ذاتها ، حيث يعرف لها عدة مراحل مثل الأشولي الأسفل و الأوسط و الأعلى و النهائي .

2 / الباليوليتي الأوسط :

في البلاد الأوروبية يقترن الباليوليتي الأوسط بحضارة واحدة تدعى الحضارة الموستيرية ، لكن في بلاد المغرب يلاحظ وجود الحضارة الموستيرية (موقع الموستر) بفترة قصيرة جدا من حيث المدة و الانتشار ، لتعوض بحضارة محلية تدعى الحضارة العاترية ، و إذا كان الباليوليتي الأوسط في أوربا يمتد من 100.000 إلى 37.000 سنة ، فإنه يتواصل في بلاد المغرب إلى حوالي عشرين ألف سنة ، يحاصر في أوربا المرحلتين الأولى و الثانية من النصف الأول من العصر الجليدي فورم أما في بلادنا فيقابل المرحلة المناخية المسماة السلطاني .

3 / الباليوليتي الأعلى

خلال هاته الفترة تعرف الصناعات الحجرية تشعبات و تعقيدات تصل إلى درجة تعدد الحضارات في منطقة واحدة و في مدة محدودة ، ، و قد ارتبطت هذه المرحلة بأوربا ، و انعدمت في بلاد المغرب ، و أن الباليوليتي الأوسط يتواصل إلى غاية أيام فترة ما بعد الباليوليتي ، و أهم ما يميز هاته الفترة هو ظهور الرسومات الفنية الأولى ، حيث بدأ الإنسان يعبر عن حياته و انشغالاته اليومية برسومات على الصخور ، و تشكيل تماثيل صغيرة .

4 / ما بعد الباليوليتي :

يمكن تسميته بالعصر الحجري القديم المتأخر ، و هي فترة حضارية لها أهمية معتبرة في بلاد المغرب ، و تتميز بظهور صناعة حجرية دقيقة الصنع (قزمية) و صناعة عظيمة ، و خلال هذه الفترة تنشأ حضارتان أساسيتان متميزتان : الأيبروموزية على السواحل المتوسطية ، و الثانية الحضارة القفصية (نسبة إلى منطقة قفصة) ، و تتمركز في المناطق الداخلية

ب) العصر الحجري الأوسط (الميزوليتي)

فترة حضارية قصيرة انتقالية ، تتوسط الباليوليتي و النيوليتي ، تتميز بصناعة حجرية دقيقة الصنع و الشكل ، و هذه الفترة منعدمة في بلاد المغرب .

ج) العصر الحجري الحديث (النيوليتي)

و هو آخر مرحلة من العصور الحجرية ، يتصف بعدة خصائص تجعله مميزا عن المراحل السابقة فخلال هاته الفترة من الحضارة الإنسانية حدثت تغيرات جذرية في حياة الإنسان ، و نمط معيشتة ، و مما ساعد على حدوث الثورة النيوليتية هو المناخ المناسب في حدود 12.000 سنة ، و يتميز النيوليتي بظهور أدوات حجرية جديدة ، و تقنيات صناعة الأواني الفخارية لتخزين الحبوب و السوائل التي بدأ الإنسان النيوليتي ينتجها بعد اكتشافه للزراعة ، و استئناس الحيوانات و بانتهاء فترة النيوليتي تنتهي فترة العصور الحجرية ليعرف الإنسان بعد ذلك العصور المعدنية.

الحضارة الأشولية

تنسب الحضارة الأشولية إلى موقع سانت آشول بالقرب من مدينة أميان شمال فرنسا ، حيث اكتشفت الأدوات الأولى المتمثلة في الفؤوس اليدوية أو ذات الوجهين التي تعتبر الميزة الرئيسية لهذه الحضارة ، و سرعان ما تم اكتشاف الصناعة الأشولية في مناطق عديدة من العالم القديم خاصة في إفريقيا الشرقية المتوفرة على أقدم مواقع الحضارة الأشولية .

ترتبط الصناعة الأشولية بالإنسان المعتدل في غالب الأحيان ، و بالنسبة لبلاد المغرب تعاصر الحضارة الأشولية الفترتين المناخيتين العامري و التانزفيتي ، أما في أوروبا فتظهر الحضارة الأشولية مع بداية المرحلة ما بين الجليدية مندل – ريس ، و تستمر إلى غاية نهاية مرحلة ريس ، و من أهم مميزات الحضارة الأشولية الفؤوس اليدوية ذات الوجهين ، الفؤوس الصغيرة ، لكن في السنوات الأخيرة اكتشفت صناعات شظوية نسبت إلى الحضارة الأشولية ، مما أدى إلى ظهور إشكالية و نقاش بين المختصين حول كيفية اعتبارها صناعة أشولية ، و في النهاية استتب الأمر حول إمكانية وجودها إلى جانب الفؤوس اليدوية الأشولية و رغم ذلك تبقى السمة الأساسية للحضارة الأشولية الفؤوس اليدوية ، و كان ظهورها نتيجة تطور الصناعة الحصوية ، و تنقسم الصناعة على الحصى إلى قسمين :

القسم الأول يتمثل في الحصى المشذب المتعدد الصفحات و الشبه كروي و الكروي ، و صناعة هذا القسم تتم عن طريق حصة ذات الحجم الكبير .

أما **القسم الثاني** فيحتوي الحصى المشذب من وجه أو وجهين ، ففي مرحلة أولى تشذب الحصاة من وجه أو وجهين و في المرحلة الثانية يتوسع الشذيب ليشمل كل الحصاة أما المرحلة الأخيرة التي نفذها الاشوليون بالبحث عن مدبب و بتعرفهم على سمة التناظر ، و بهذا أصبحت للحصاة المتوسعة التشذيب مدبب في الطرف الأبعد و تحتوي سمة التناظر .

تتميز كذلك الحضارة الأشولية بابتكارات تقنية جديدة لم يعرفها الإنسان من قبل (خلال الفترة ما قبل الأشولية) و تتمثل هذه الابتكارات في اختراع **تقنية التقصيب** المحدد مسبقا ، و قبل هذه الحضارة كان الإنسان **يقصب** بدون أن يتصور الشظية من حيث الشكل و الحجم قبل نزعها من النواة ، و هذا الاختراع يبدو أنه يرتبط مع التطور البيولوجي للإنسان ، حيث ارتبط بازدياد حجم المخ حيث يصل عند الإنسان المعتدل إلى ألف و 300 سم 3 ، و من أهم التقنيات المبتكرة و التي كان لها رواج كبير : **طريقة لفلواز** أو (**لفلوا**) للتقصيب ، و هي الحصول على شظايا ذات شكل و حجم دقيقين ، و للحصول عليها يجب تهيئة النواة بإجراء 70 طرقة على الأقل ، و الطريقة تخص الحصول على الفؤوس الصغيرة ، و تتمركز في الصحراء الشمالية الغربية .

حضارات الباليوليتي الأوسط

يضم الباليوليتي الأوسط حضارتين متميزتين أولهما الحضارة الموسستيرية ، و تتركز أساسا في أوروبا و الشرق الأوسط و ظهرت في فترة قصيرة في شمال إفريقيا ، و يصل نطاقها حتى حدود جنوب شرق آسيا و إفريقيا الشرقية و الجنوبية .

و الحضارة الثانية هي الحضارة العاترية التي تنشأ و تتطور في بلاد المغرب لفترة طويلة ، و ما يميز الباليوليتي الأوسط على المستوى الصناعي هو التخصص في الصناعة الشظوية إذ يسجل اختفاء الفؤوس اليدوية و الفؤوس الصغيرة التي كانت تميز الحضارة السابقة .

الحضارة الموسستيرية

تمتد ما بين 100.000 إلى 20.000 سنة ، و استمدت اسمها من **موسستير** بفرنسا بمنطقة اسمها **الدوردون** و تنتشر هذه الحضارة بكثرة في أوروبا مقارنة بالمواقع الأخرى في العالم ، و قد سمحت الدراسات بتمييز سماتها الحضارية ، و معرفة الإنسان الذي صنعها و الإنسان العاقل النيامرتال .

إن مواقع هذه الحضارة في المغرب نادرة جدا و خاصة في الصحراء ، و يعرف منها في تونس موقع وادي العقارب بالقرب من قابس ، عين مترسم ، سيدي الزين ، موقع قطار قرب قفصة ، أما في الجزائر فنذكر موقع وادي رهيو موقع الرتيمية بتنس ، و بالمغرب الأقصى يوجد ثلاث مواقع : تافورالت ، كيفان بلغوماري ، جبل أرهود بالجنوب الشرقي من مدينة صالي ، و هو يُعد من المواقع الموسستيرية الهامة بما احتواه من بقايا بشرية و أدوات حجرية .

تقوم الحضارة الموسستيرية على صناعة الأدوات المستمدة من الشظايا بتقنية بيفلوازية ، و هي تتميز بالتقليل من حجمها مقارنة بالصناعة الأشولية ، و لم تختفي الصناعة ذات الوجهين ، و لكن بدأت تستخلفها الصناعة الشظوية المتمثلة في رؤوس السهام ، المكاشط (Racloirs) و المحكات ، المسننات ، النصال ، كما ظهرت بعض الصناعات العظمية و قرون الحيوانات مثل الأيل .

لقد أنتج إنسان النيادرتال عدة أشكال من الأدوات الحجرية طوال حوالي 50 ألف سنة ، أي خلال العصر الحجري الأوسط ، و تنوعت تلك الصناعات حسب مراحلها الزمنية و على هذا الأساس صنّف العلماء الحضارة الموسستيرية إلى أنماط مختلفة تقوم على خصائص ثقافية محضة و هي تتمثل فيما يلي :

- 1 – **الموسستيري ذو الثقافة الاشولية** : تميزت باستمرار وجود الفؤوس اليدوية ، و ارتفاع نسب الرؤوس و المحكات و النصال في فترة تطورية يلاحظ انخفاض نسبتي الفؤوس و المكاشط .
- 2 – **الموسستيري النموذجي** : ندرة أو غياب الفؤوس اليدوية و تغير في نسبة المكاشط .
- 3 – **الموسستيري المسنن** : يتميز هذا الوجه بندرة أو غياب مجمل الأدوات باستثناء المسننات .
- 4 – **الموسستيري ذو النمط كينا** : حُدّد هذا النمط لأول مرة في موقع كينا بالجنوب الغربي لفرنسا ، و عثر عليه بجانب بقايا إنسان نيادرتال ، و يتصف بانعدام تقنية التقصيب و ارتفاع المكاشط (الزيادة في النسبة) ، و زيادة الفؤوس اليدوية و قلة المسننات .
- 5 – **الموسستيري الفراسي** : تم التعرف على الوجه الموسستيري من نمط الجنوب الغربي لفرنسا و هو يشبه الوجه الموسستيري من نمط كينيا من حيث المكونات الصناعية ماعدا نوعية التقصيب

المتمثل في تقصيب لوفلوا ، و يتميز بنسب عالية من المكاشط ، و انعدام الفؤوس اليدوية ، و المسننات نادرة .

غير أن الأدوات التي انتشرت بكثرة هي خاصة المكاشط و رؤوس السهام ، مما يدل اساسا أن الإنسان العاقل نيادرتال كان يعيش على نمط الصيد و القطف ، و بنى مسكنه من قش الشجار و عظام الحيوانات ، كما سكن الكهوف ، و ما يميز مسكن هذا النوع من السلالة البشرية ، هو وجود الموقد الذي يتوسط المساحة السكنية ، إذ يعتبر أول إنسان استأنس النار و أصبحت العنصر الأساسي في حياته اليومية نظرا للظروف الطبيعية التي عاش فيها خاصة جليدية فورم ، علما أنه كان يصطاد حيوان الرنة المتواجد في المناطق الباردة الشمالية في أوربا و آسيا ، إذ عثر على آثار مساكن قرب البحيرات و ضفاف الأودية و الأنهار .

و كذلك من خصائص هذه الحضارة هو ظهور الشعائر الجنائزية (الدفن) التي لم تكن تعرف عند أسلاف إنسان النيادرتال . ظاهرة حضارية جديدة جعلت الإنسان يقفز قفزة نوعية فيما يخص المعتقدات و الميتافيزيقيا ، أي حياة ما بعد الموت ، حيث كان يعتني بالجنّة عناية خاصة ، و هذا ما ساعد ربما في العثور بكثرة على مدافن في حالة حفظ نوعا ما جيدة لإنسان نيادرتال ، مما يوحي بوجود علاقة روحانية بين الميت و الحي ، و هذا ما لاحظته العلماء في الآثار المتبقية التي تشير للطقوس الجنائزية الممارسة من طرف سلالة الإنسان العاقل النيادرتالي ، و أحسن مثال نجده في مغارة شنيدار التي تقع شمال شرق العراق ، حيث عثر على بقايا مدافن أشهرها يتمثل في دفن طفل في شكل قرفصاء (الرأس متجه نحو الشمال) ، ثاني مدفن هو لفرد بالغ دفن بطريقة خاصة إذ وضع على طرفه الأيسر ، و وجهه باتجاه الشرق و أطرافه السفلى منكمشة نحو الجسم حتى أصبح العقب متصل بعظام الحوض ، و يبدووا من خلال دراسة اللقاح المتواجد بعدد هائل في التربة أن الجنّة دفنت على بساط من الزهور ، و هو ما يوحي بوجود أولى المدافن الجنائزية في تاريخ البشرية.

الحضارة العاتية

إن أقدم موقع للحضارة العاترية يؤرخ لأكثر من 40 ألف سنة إلى غاية 25.000 سنة ق. م ، و هاته التسمية نسبة إلى منطقة بئر العاتر قرب مدينة تبسة ، حيث يجمع الباحثون أن الصناعة

العاترية استمدت أصلها من الصناعة الموسستيرية ، و يعتمدون في هذا الاستنتاج على التشابه الموجود بين الصناعتين ، و يقولون أن الصناعة العاترية هي صناعة موسستيرية ، مضافا إليها عنق في الجهة القاعدية للأدوات ، و لمعرفة العلاقة بين الحضارتين فمن الجانب الزمني (الطبقي) لا يوجد علاقة تطابقية بين الحضارتين ، فقد لوحظ عدم توضع الصناعة العاترية فوق الصناعة الموسستيرية ، و في بعض الأحيان تتزامن معا ، و يعتمدون في ذلك على موقع تافورالت في المغرب الأقصى ، أما عن الإنسان فلم يعثر لحد الساعة على بقايا آدمية ممثلة للحضارة العاترية .

مراحل الحضارة العاترية :

1 – العاترية القديمة :

أغلبية المواقع التي تنتهي إلى المرحلة القديمة تتواجد في السواحل و تتميز بصناعة أقرب إلى الموسستيرية ، و يلاحظ في الفترة العاترية القديمة ندرة القطع ذات العنق ، و أهم المواقع نجد دار السلطان و الحنك في المغرب الأقصى و الخروبة بالجزائر العاصمة و الراس الأبيض و مونستير بتونس .

2 – العاتري الأوسط :

من أهم مواقع وادي جبانة و وادي جوف و شعاع بالجزائر ، تتميز الصناعة في هذه الفترة بأنها موسستيرية بتقسيب لفلوا بأعقاب متعددة الأوجه ، و أغلب الأدوات في هاته الفترة تتمثل في المحكات .

3 – العاترية العليا :

تتميز بالتشكيل البسيط بتهديبات دقيقة و مزدوجة الاتجاه ، حددت لأول مرة المرحلة العليا في المغرب الأقصى و في الصحراء الجزائرية ، و يتواصل وجودها إلى غاية العصر الحجري الحديث .

